

استثمار مبادئ اللسانيات العرفية ومخرجات العلوم البيئية في النمو المعرفي وتعلم اللغة
Investing cognitive linguistics principles and interstitial science outputs
in cognitive development and language learning

عواطف جغبلو، صالح غيلوس

¹ جامعة محمد خيضر بسكرة (الجزائر)، aouatef.djaghalou@univ-biskra.dz

² جامعة محمد بوضياف المسيلة (الجزائر)، Salah.ghilous@univ-msila.dz

مخبر اللسانيات واللغة العربية LLA2

جامعة محمد خيضر بسكرة (الجزائر)

تاريخ الاستلام: 2024/01/23 تاريخ القبول: 2024/10/03 تاريخ النشر: 2024/12/01

ملخص: تهدف هذه الدراسة إلى معالجة دور اللسانيات العرفية ومخرجات العلوم البيئية، بهدف استثمار مخرجاتها الكبيرة، لتطوير معرفته وزيادة خبرته بشكل واضح، فالمرابي /المعلم ملزم بمعرفة كيفية تفكير الأطفال واستراتيجيات اكتساب المعرفة الخارجية لاكتشاف العوامل التي تؤثر على تخزين الدماغ واسترجاعه، التي يتم من خلالها تحقيق المعرفة، فجاءت ورقتنا لتسليط الضوء على هذا الاقتراح. **كلمات مفتاحية:** اللسانيات العرفية؛ التنمية المعرفية؛ تعلم اللغة؛ نظرية بياجيه؛ نظرية فيجوتسكي.

Abstract:

This study aims to address the role of cognitive linguistics and the outputs of interstitial science, with the aim of investing its outputs to acquire knowledge and enhance the linguistic performance of the child, from preschool according to the vision of Biagi and Vitojski's cognitive and social. Since early childhood, with the child clearly using mental codes and images, and very quickly, to develop his knowledge and clearly increase his experience, the educator/ the teacher is obliged to know how children think and strategies to gain outside knowledge, to discover the factors that affect brain storage and retrieval, through which knowledge is achieved, our paper came to highlight this suggestion.

Keywords: Cognitive linguistics; cognitive development; Biagi theory; Vygotsky theory; language learning.

المؤلف المرسل: عواطف جغبلو، الإيميل: aouatef.djaghalou@univ-biskra.dz

1. مقدمة:

تمثل مرحلة الطفولة أبرز مرحلة يمر بها الإنسان، فهي الركيزة الأساسية التي تبنى عليها خريطة حاضره ومستقبله، وأهمية هذه المرحلة جعلت الباحثين في مجال الطفولة يهتمون بدراسة مكوناتها ومكوناتها، والبحث في طبيعة التكوين النفسي والعقلي والجسمي للطفل في مراحل مبكرة من عمره، وكذا تشكل هذا التكوين والكيفية التي ينمو بها، وبصورة أوضح انصب تركيز الأبحاث حول "النمو المعرفي واللغوي" الذي يمر به الطفل تدريجياً وعبر مراحل فيكون من خلاله خبراته الحياتية ويُنمي مهاراته المعرفية ويكتسب فيه أداء لغوي يتسم بالنضج والرقى.

ولما كان لهذا المجال البحثي من اهتمام عند الكثير من الباحثين والعلماء كان للسانيات العرفية والعلوم البينية أيضاً فضل في دراسته عبر جملة من النظريات القائمة على أسس معرفية بحتة والتي قدمها علماء ذو شأن أمثال "جان بياجيه Jean Piage" الذي قدم لاكتساب المعرفة وتعزيز الأداء اللغوي للطفل من مرحلة ما قبل المدرسة وفقاً لرؤية نظرية (بياجيه وفيتوجسكي) المعرفية والاجتماعية منذ الطفولة المبكرة مع الطفل؛ بوضوح استخدام الرموز والصور العقلية، وبسرعة شرحاً علمياً مستوفياً في دراسته للنمو المعرفي عند الطفل من خلال نظريته "البنائية المعرفية النمائية"، و"ليف فيجوتسكي Lev Vygotsky" الذي أبدع هو الآخر في تقديم رؤية جلييلة في نظرية النمو المعرفي واكتساب اللغة من خلال نظريته "البنائية الاجتماعية"، حيث قدمت كل نظرية أرضية خصبة لفهم نمو الطفل عبر تقديمها توصيات وتطبيقات واستراتيجيات تعزز ميدان التربية والتعليم وفهم هذه مرحلة بصورة جلية وفهم ميكانيزمات التعامل مع الطفل في هذه الفترة، وهو ما سنعالجه في هذا البحث منطلقين من التساؤلات الآتية:

— كيف أسهمت اللسانيات العرفية ومخرجات العلوم البينية من خلال النظريتين البنائية المعرفية لبياجيه والاجتماعية الثقافية لفيجوتسكي في تفسير وتعزيز عملية اكتساب المعرفة وتنميتها وترقية الأداء اللغوي للطفل؟

— كيف فسرت هاتين النظريتين عملية النمو المعرفي واللغوي عند الطفل؟

— ما أبرز الآراء التربوية التي قدمتها كل عالم في نظريته؟ وما الأهداف التي سعت إليها النظريتين؟

2. النمو المعرفي واللغوي:

1.2 النمو المعرفي:

يعني هذا المصطلح جملة التحولات النفسية والإدراكية والعقلية التي تطرأ على الطفل والتي ترتبط أساساً بالعمليات العقلية من قبيل التذكر والحفظ والتفكير والإدراك والربط.. حيث تسمح هذه العمليات بتفاعل الإنسان مع ما يحيط به وبالتالي تبرز محاولته لفهم للعالم واكتشافه للأشياء؛ وهذه العمليات هي خطوات لاكتساب معارف يبدأ بتكوينها الطفل منذ مراحل مبكرة من عمره فتتمو شيئاً فشيئاً كلما تقدم بالعمر، وتساهم في حصولها عوامل داخلية نفسية وذهنية وعوامل خارجية كذلك، إذا النمو المعرفي ما هو إلا محاولة جادة من الطفل لفهم متغيرات محيطه وتكوين خبراته الخاصة (النوايسة و القطاونة، النمو اللغوي والمعرفي للطفل، 2015).

— التنمية المعرفية إجرائياً: (هي دراسة التطور العصبي والنفسي للطفولة على وجه التحديد إذ يتم تقييم التطور المعرفي بناء على مستوى الإدراك ومعالجة المعلومات واللغة كمؤشر على نمو الدماغ) (عون و علة، 2019، صفحة 74)، للتنويه أن هذا المصطلح ارتبط بنظرية "جان بياجيه Jean Piage" حيث قدم لنا تصوراً بنائي معرفي يصف النمو المعرفي منذ لحظة ولادة الطفل وحتى بلوغه عمراً يكون قد شكل فيه معرفته الخاصة عن العالم وطور مهاراته المختلفة.

2.2 النمو اللغوي:

نطلق عليه مصطلح الاستعداد اللغوي حيث يكون الطفل على جاهزيه لتعلم اللغة واكتسابها، وهذا الاستعداد اللغوي لا يتأتى إلى الطفل دفعة واحدة وفي مرحلة من المراحل وإنما يتدرج الطفل فيه تدريجياً منذ الولادة وحتى تطور مراحل حياته التي يمر بها.

(فقد يبدأ هذا الاستعداد بحركات بسيطة كان يحرك عيناه تجاه الصوت الذي يسمعه وهي في الغالب أصوات أفراد أسرته، ولو حللنا هذه الحركات لوجدناها تقوم مقام أشكال التعبير اللغوي نظراً لضعف تكوين القاموس اللغوي) (شلابي و ساقني، 2021، صفحة 691)، وهذه الاستعدادات الأولية تتطور بتطور الطفل لينقل من مرحلة الأصوات غير الواضحة والحركات التي يعبر من خلالها على حاجياته الشخصية كالبكاء للدلالة على الجوع مثلاً إلى حركات أوضح نوعاً ما يبدأ فيه بتشكيل مقاطع صوتية أو كلمات شبه مفهومة تنم عن بداية تفاعله مع ما حوله وهي إشارة على أن الطفل في طور النمو.

ويستمر تطور لغة الطفل ليصل في كل مرحلة إلى مستويات أعلى يتحكم فيها بالألفاظ والكلمات ونطقها على نحو صحيح وبشكل واضح ومفهوم، وتتدخل عوامل عديدة في هذه العملية (عملية التطور اللغوي للطفل) منها العوامل التي تتعلق بالتكوين النفسي والعقلي والجسدي السليم للطفل كأن يكون خال من عيب أو إعاقاة تعيق لاكتسابه اللغة، وعوامل خارجية يمثلها المحيط الاجتماعي بما فيه العائلة والبيئة مما يساعده على تعلم الكلمات بمدلولاتها وسلامة نطقها فيبدأ في تكوين ملكته اللغوية.

3.2 العلاقة بين النمو المعرفي والتطور اللغوي:

(التطور اللغوي والتطور المعرفي يرتبطان ارتباطاً وثيقاً جداً، وقد درس عدد من علماء النفس اللغوي العلاقة بين القدرات اللغوية عند الأطفال وقدراتهم المعرفية، ويعتقد بعض هؤلاء أنّ الطفل لا يمكنه أن يعكس على شكل لغة سوى الأشياء والأفكار التي يستطيع التعامل معها معرفياً وعقلياً) (علاونة، 2004، صفحة 235)، فالمعرفة بالأشياء تتطلب التعبير عنها لربط الأدلة بمدلولاتها وكلما اتسعت دائرة المعارف اتسعت الملكة اللغوية عند الطفل وتدعمت بعدد زائد من الألفاظ والجمل، كما تلعب اللغة الأم المصدر الأول الذي من خلاله يكون الطفل بنيتة اللغوية حيث تكون في بداية عملية الاكتساب ذات طابع يتميز بالقصور والنقص أو العشوائية ويمكن وصفها بحالة التقليد؛ فهو يحاكي ما يسمع ويرى، لكنها تتطور بنمو معرفة الطفل فيتعرف كل مرة على القواعد التي تحكم لغة مجتمعه ويحاول تطوير لغته حتى يصل إلى مستوى جيد رابطاً أداءه اللغوي بما اكتسبه من معرفة.

3. النمو المعرفي واللغوي في مرحلة الطفولة المبكرة أو ما قبل المدرسة:

1.3 النمو المعرفي في مرحلة الطفولة المبكرة أو ما قبل المدرسة:

حسب العالم "جان بياجيه Jean Piage" تتسم هذه المرحلة بعملية التمثيل المعرفي وهي خاصية يستطيع من خلالها الطفل تمثيل الواقع عبر نظام الترميز والتمثيل بما يتوافق مع قدراته العقلية كما؛ حيث يكون صورا ذهنية كوسيلة لتقريب المعارف التي يكتسبها لكن بتصوره وبفهمه الخاص، ذلك لأن الذاكرة التخيلية عنده محكومة بالقدرة العقلية المحدودة التي يمتلكها على اعتبار هذه المرحلة المبكرة من عمره، وهذه المرحلة تسبق المرحلة الحسية الحركية التي يستخدم فيها الطفل تلك الترميزات والتمثيلات عبر المعاينة الحسية المباشرة للواقع (النوايسة و القطاونة، النمو اللغوي والمعرفي للطفل، تم ذكره سابقاً).

(كما يتميز التفكير في هذه المرحلة بعدم التفرقة بين الأفكار والأفعال وبين الواقع والأحلام والخيالات، وغياب السببية والمنطق وعدم القدرة على وضع احتمالات بديلة، كما تنمو لديه قدرة وضع

الأشياء في مجموعات بسيطة، فهو غالبا ما يدرك جانبا واحدا من الموضوع أو الموقف فينسب كل الملاحظات إلى نفسه ولا يستطيع إدراك أصول الأشياء أي إرجاع ناتج العمليات إلى أصولها) (النوايسة و القطاونة، النمو اللغوي والمعرفي للطفل، المرجع السابق نفسه، صفحة 150)، وتعد هذه الإجراءات محاولات طبيعية من الطفل لفهم عالمه وتتم بصورة عشوائية ومتذبذبة ذلك أن العمليات العقلية عنده غير مكتملة وفي طور النمو تماما مثل نموه المعرفي واللغوي الذي يكون محدود في البدايات ثم يتطور تدريجيا في حدود التجارب التي يمر بها الطفل.

2.3 النمو اللغوي في مرحلة الطفولة المبكرة أو ما قبل المدرسة:

تتميز هذه المرحلة بسرعة النمو اللغوي للطفل بحيث يُلاحظ فيها تطور ملموس في نطق الطفل فينتقل أدائه اللغوي من مستوى ضعيف إلى مستوى حسن، ويبدأ رصيده اللغوي بالتشكل ولكن بوتيرة بسيطة كأن يطور مهارة الاستماع ومحاكاة ما يسمعه، وأن ينطق الحروف متشابهة المخارج بطريقة خاطئة..، وهكذا تستمر القدرة اللغوية للطفل بالتطور بالموازاة مع تطور المهارات الأخرى (الحركية أو العقلية أو المعرفية..)، وتحتاج القدرة اللغوية إلى العامل الاجتماعي بالدرجة الأولى، فالتواصل مع الآخرين وعملية التأثير هي التي تعزز مهارات الاستماع والتجاوب والتفاعل اللغوي لديه، كما ينتقل الطفل من مرحلة اللغة المبهمة والأصوات غير المفهومة إلى مرحلة تتسم فيها لغته بالترابط المنطقي بين الكلمات وتسلسلها ووضوح المفاهيم، كما يتميز الطفل في هذه المرحلة بالنشاط والحركة وحب الاكتشاف والتقليد والفضول والأسئلة الكثيرة التي تنمي مهاراته وتوسع مدركاته وتحسن مستوى نطقه واكتسابه للغة من خلال الحوارات والمناقشات التي يجريها مع من هم أكبر منه سنا (غباري و أبو شعيرة، سيكولوجيا النمو الإنساني بين الطفولة والمراهقة، 2015).

4. استثمار مبادئ اللسانيات العرفية ومخرجات العلوم البينية في التطور المعرفي واللغوي من خلال نظريات النمو المعرفي لـ "جان بياجيه Jean Piage" و "ليف فيجوتسكي Lev Vygotsky":

تلعب اللسانيات العرفية والعلوم البينية متضافرة التخصصات على غرار علم النفس وعلوم الأعصاب والدماغ والعلم الفسيولوجي الذي يهتم بدراسة وظائف الأعضاء والأجهزة الحيوية عن الكائن الحي... بما تحمله هذه العلوم من مفاهيم إدراكية ومبادئ عرفية دورا هاما في حصول التطور المعرفي وتعزيز

اكتساب وتعلم اللغة، ذلك لأنها تقدم جملة من المبادئ تقوم في مضمونها على ما تؤديه العمليات المعرفية العقلية في تتبع هذا التطور وتحقيقه، فالملاحظ هو أن العمليات العقلية تتطور شأنها شأن أنواع النمو الأخرى، كما تتطور مهارات الطفل خاصة ما ارتبط منها بالجانب الإدراكي، ففي حين كانت تفسيراته للأشياء مبنية على الجانب المحسوس والموجود أمامه تصبح بتطور الجانب الإدراكي تفسيراته مبنية على الفهم الدقيق لهذه الأشياء وتجاوبه معها، كما تلعب الظاهرة النفسية دورا كبيرا في عملية النمو المعرفي واللغوي ذلك أن الطفل لا يتعلم بمعزل من المحيط بل يستمد منه معرفته وينمي مهاراته ويكون خبراته الحياتية، وفي ذلك تعظيم لقيمة التجربة في تكوين الطفل معرفيا ولغويا، فيفضل في حالة تجريب ويقع في الخطأ والصواب ليصل بعد هذه المحاولات إلى الاستعمال اللغوي السليم وترتقي قدرته اللغوية.

هذا الدور تجسد من خلال نظريتي النمو المعرفي لـ كل من: "جان بياجيه Jean Piage" و "ليف

فيجوتسكي Lev Vygotsky" وهو ما سنفصل فيه فيما يأتي:

1.4 النظرية المعرفية النمائية لـ "جان بياجيه Jean Piage":

تقوم النظرية النمائية على مفاهيم أساسية تتمثل في خمسة أنشطة معرفية أولها الشكل التصوري العام (Schema) بحيث يعتمد الطفل في هذه الوحدة على نقطتين أساسيتين هما التعرف والاسترجاع وهما عمليتين عقليتين؛ فيتعرف على الأشياء ويبنى معارفه حولها عن طريق التصورات العامة التي يسترجعها لاحقا، لكن الملاحظ أنه لا يستطيع فرز تلك الأشكال التصورية أو تمييزها عن بعض، فيضع المعارف المتشابهة في إطار واحد ويطلق عليها أحكاما واحدة ظنا منه أنها شيء واحد، وما يميز الطفل في هذه الوحدة أنه يملك قدرة هائلة في الاحتفاظ على كل ما يتعرف عليه بذاكرته، أما النشاط الثاني فتمثله الصور الذهنية فإذا كان النشاط الأول يقوم على التمثيل الجزئي للأشياء فإن هذا النشاط يكون فيه الصور الذهنية شبه كاملة وتتسم بالدقة، كما تمكنه تلك الأخيرة بفهم أشياء لها ارتباطات بما يشكله من تصورات لعالمه كأن يميز بين الحيوانات المتشابهة أو حتى الخصائص المميزة لتلك الحيوانات عن بعضها، ويملك الطفل في هذه المرحلة قدرة أكبر على حفظ وتخزين الصور الذهنية التي يكونها في ذهنه عن المعارف والعادات التي يراها، كما يملك القدرة أيضا على استرجاعها بسهولة عندما تستدعي الضرورة وبهذه الطريقة يشكل مفاهيمه حول الأشياء، أما النشاط الثالث فهو الرموز وهي بمثابة تصوير أو مخطط لتقريب المفاهيم وإدراكها عند الطفل، وتتم عمليات الترميز عن طريق المنبهات الحسية والتي تعد وسيلة تقرب الصورة للطفل بشكل أكثر وضوحا، كما تجعل قدرته أكبر على تكوين المفاهيم، و تعزز كفايته اللغوية فيكون

قادرا على استعمال صيغ مخلفة من صيغ الكلام كالاستفهام مثلا وغيرها.. لكن هذه القدرة تخلو من المنطقية، والنشاط الموالي للرموز هو المفاهيم بحيث يعمل دماغ الطفل في هذه الوحدة على ربط الأشكال التصويرية العامة مع الصور الذهنية والرموز الدالة عن الأشياء كأن تدل مجموعة من السلوكيات الحيوانية كالعض أو النباح أو الأسنان الحادة على الكلب مثلا، ومن خلال هذا الترابط يُنشئ صفات معينة تساعد على تكوين المفاهيم المعرفية، وتجدد الإشارة إلى أن كل طفل يرسم تصورا خاصا عن الأشياء وفق رؤيته الخاصة، فلا يشترك جميع الأطفال في تفسير المفاهيم بنفس التصورات لكنهم يشتركون في عملية التصور لتلك المفاهيم كعملية عقلية طبيعية مشتركة عند البشر، وبعد أن يصبح الطفل قادرا على تكوين المفاهيم يتطور إدراكه ليلبغ مرحلة أعلى من النشاط يطلق عليها **بياجيه** مرحلة القواعد؛ حيث ترتبط المفاهيم في هذا النشاط بعضها البعض وتصبح دالة على بعضها كأن يربط الطفل بين مفهوم الشتاء والبرد و المطر وغيرها من مفاهيم حقل الشتاء، وبالتالي يمكننا أن نعتبر القواعد علامة بارزة تدل على تحسن إدراك الطفل طالما أصبح يدرك العلاقات بين المفاهيم والروابط التي تجمع بين الأشياء وعلى نحو ذلك، ويعتبر هذا مؤشر جيد للنمو (العارضة، النمو المعرفي لطفل ما قبل المدرسة نظرياته وتطبيقاته، 2013).

وتجدد الإشارة إلى أن الأنشطة المعرفية السابقة تتضمن عمليات عقلية أساسية عليا حيث يعمل الدماغ على تنظيم عملية تكوين المفاهيم عن طريقها، وهي عمليات إدراكية غير محسوسة لكنها تظهر في سلوك الطفل عندما يستجيب للمثيرات (المعارف التي يرغب في فهمها) ويتفاعل معها بالطرق المناسبة ويخلق أساليب متعددة تجعل اكتسابه للمفاهيم أسهل، منها عملية الإدراك الذي يسمح بمسح شامل للأشياء وخلق جهاز مفاهيمي خاص بها في الدماغ يسهل التعرف عليها وأساسه هو الحواس، من ثم عملية التذكر التي يتم فيها حفظ واسترجاع المعلومات المكتسبة، وأيضا عملية الاستدلال وهي عملية عقلية تسمح بتتبع الأشياء واستنباط المفاهيم لنصل إلى حقائق معينة، وكذلك عمليتي التبصر والاستبصار حيث تتضمن العملية الأولى الفهم المباشر للأشياء، أما العملية الثانية فهي تتعلق باستبيان الروابط والعلاقات بين المفاهيم الكلية (العارضة، النمو المعرفي لطفل ما قبل المدرسة نظرياته وتطبيقاته، المرجع السابق نفسه).

يؤكد "جان بياجيه Jean Piage" على أن أهم خطوة إجرائية لها فاعليتها في التعلم والاكتساب اللغوي هي عمليتي الترميز والتصوير (التصورات أو التمثيلات)، فتمثيل الواقع عبر ترميزات معينة من قبل الطفل في مراحل مبكرة من عمره تتيح له تكوين رصيد معرفي لغوي متواضع تتخلله تعثرات واضحة في

التعبير عن الأشياء قياساً على قدراته المحدودة، فالطفل لن يعبر بصفة ناضجة عن كل ما يتعلمه لكنه يظل في وضعية تعلم واكتساب مستمرة ومتطورة شيئاً فشيئاً، ويقدم بياجيه مثلاً عن الترميز بلعبة الأكل حيث تلعب فيها الحصى أو الحجارة الصغيرة الصلبة دور الحلوة، فالحصى هي ترميز يعبر عن التمثيل أو الصورة الذهنية التي رسمها الطفل في علقه عن قطعة الحلوة (بياجيه، 2002).

(ويفتقر تفكير الطفل إلى المرونة ويوصف بأنه ذو بعد الواحد، أي انه ذو تفكير بسيط لا يستطيع تركيز انتباهه على أكثر من جانب واحد فقط على المهمة التي تقدم له، وتظهر لديه صور التفكير الرمزي البسيط والصور الذهنية البسيطة) (قطامي، 2000، الصفحات 208-207)، حيث يمثل التفكير الرمزي والتصوري عملية تقليد مجرد من الوعي.

لذا يفضي بياجيه إلى أن المفاهيم عند الطفل في مراحله الأولى نحو التعلم هي عبارة عن علاقات تصويرية ذهنية أو علاقات رمزية تربط الدوال بمدلولاتها ولكن بصورة محدودة بالقدرة العقلية للطفل، فالمفاهيم عنده ليست كالمفاهيم التي يكونها البالغ لأنها تتسم بالقصور وهي راجعة للخبرة والتجربة الذاتية للطفل، والمفهوم ذاته يتغير من طفل لآخر في تفسيرهم للأشياء فقد يكون طفلاً ما صورة ذهنية عن شيء معين والتي قد تكون بالنسبة لطفل آخر إشارة لشيء مغاير وإن كانت نفس الصورة، ولهذا يفضل بياجيه أن يطلق لفظة ترميز أو تصوير بدلاً من لفظة مفهوم لارتباطها بمستوى وعي أكبر من وعي طفل ما قبل المدرسة، ذلك أن مفاهيمه مرتبطة بالتمثيل الذهني المحدود في حين يصح القول أن تمثيلات الشخص البالغ هي مفاهيم خالصة (شريل، 1986).

ولكن تبقى هذه الإستراتيجية خاصة بالطفل في تلك المراحل ليطور بها معارفه وأدائه اللغوي، فهي خطوات أولية جيدة تندرج ضمن العملية العقلية العليا (الذكاء)؛ طالما أنه يربط ظواهر محيطه في إطار تصوري من إنتاجه ويحسن إيجاد الروابط بين الأشياء كما يحسن معالجتها ومقارنتها بما شكله من صور ذهنية يخزنها في عقله ويستعملها وقت الحاجة، ثم يطور هذه الإستراتيجية فينتقل من مرحلة التمثيل المجرد إلى مرحلة أكثر دقة هي الموائمة بحيث يصبح قادراً على تصنيف الأشياء وتقسيمها وتنظيمها وفق مجموعات انتماءها.

● الآراء التربوية لـ "جان بياجيه Jean Piage" وأهداف نظريته :

ل بياجيه جملة من الآراء والتطبيقات ذات الطابع التربوي، والتي يمكن استثمارها في مجال التربية والتعليم خاصة بالنسبة للمربين /المعلمين في تحسين عملية الاكتساب المعرفي وتعزيز الأداء اللغوي للطفل نوجزها فيما يلي (قطاعي، نمو الطفل المعرفي واللغوي، تم ذكره سابقا):

— قدم بياجيه طريقة إكلينيكية النفسية لدراسة الكيفية التي ينمو بها الطفل معرفيا ولغويا، وهي طريقة فعالة بالنسبة للمربي /المعلم أو حتى آباء الأطفال لفهم خصوصيات نمو الطفل وتحسين الممارسة التعليمية المناسبة له، فهي طريقة إكلينيكية أكثر منها تدريبية لإعداد المربي /المعلم.

— يوصي بياجيه بضرورة فهم واختيار الطرائق التعليمية التي تلائم قدرات الأطفال لضمان تعلمهم واكتسابهم، فتنظيم طرائق وأساليب معينة بل وتوفيرها (طرق مادية كالألعاب، أو معنوية كالأنشطة التعليمية...) يسمع بالكشف عن طريقة تفكير الطفل.

— يولي بياجيه أهمية كبيرة لدور الترميز والصورة الذهنية لما لهما من فضل في عملية البناء المعرفي واللغوي عند الطفل مهما كانت هذه الترميزات والصور بسيطة ومحدودة، كما يدعو إلى الاستماع للطفل وتوجيه الانتباه لما يقوله أو يشير له أو يرمز له وأخذه على محمل الجد لأنها لغة خاصة بالطفل وذات أهمية تفصح عن المعاني الحقيقية عنده.

— يوصي بياجيه بضرورة فهم الفروقات والقدرات بين الأطفال، وأن كل الأطفال لديهم استعداد طبيعي للتعلم والاكتساب، وأن المربي /المعلم ملزم بمراعاة هذا الاستعداد.

— يؤكد بياجيه على دور البيئة المحيطة بالطفل في تعلمه وتنمية مهاراته وقدراته المعرفية واللغوية، كما يؤكد على دور التجربة في تكوين خبرات الطفل، فالبيئة تخلق نوعا من النشاط الذي من خلاله يشكل عالمه لذا يجب منح حرية التفاعل والمناقشة الحيوية للطفل مما يساعده على تطوير أبنيته المعرفية.

2.4 النظرية البنائية الاجتماعية لـ "ليف فيجوتسكي Lev Vygotsky":

(جاءت هذه النظرية نتيجة لانتقادات وجهت للبنائية المعرفية لـ جون بياجيه التي أغفلت بدورها عنصرا مهما؛ ألا وهو الجانب الاجتماعي الثقافي والبيئي في عملية تعلم واكتساب اللغة) (غيلوس، 2012، صفحة 119)، حيث يرى فيجوتسكي أن النمو المعرفي لا يقوم فقط على العوامل البيولوجية، بل تسهم فيهم عوامل أخرى ذات أهمية هي العوامل الاجتماعية والثقافية، كما أكد على ضرورة ربط النشاط الفكري عند الطفل بالمجتمع الذي يتواجد به.

وجه فيجوتسكي اهتمامه نحو فهم طريقة عمل العقل وذلك بالتركيز على عملية النمو؛ حيث ربط المعرفة بالخبرة والتجربة الناتجة عن التفاعل مع المجتمع، متجاوزا بذلك الجانب الإدراكي والانفعالي والبيولوجي ودوره في عملية النمو المعرفي للطفل، بحيث تمحور الإطار المنهجي لنظريته حول ربط النمو والعمليات العقلية بالجانب الاجتماعي منطلقا في ذلك من فكرة تنوع الأجناس البشرية واختلافها كسبب من أسباب حصول النمو والتطور عند الأفراد، كما أن العمليات العقلية تتصل بالمحيط الخارجي (المجتمع) كشرط أساسي للتطور المعرفي واللغوي، وأن تلك العمليات غير محسوسة ماديا لكنها تترجم على شكل أفعال إرادية مختلفة نلمسها في سلوكيات الطفل وتصرفاته (غباري و أبو شعيرة، سيكولوجيا النمو الإنساني بين الطفولة والمراهقة، تم ذكره سابقا).

كما يمكن تحديد هذا الإطار المنهجي لنظرية فيجوتسكي بسمتين هما:

السمة الأولى هي ذلك التفاعل الاجتماعي الذي يلعب دورا أساسيا في تطوير الإدراك، ويظهر مدى تطور الطفل الثقافي في مستويين الأول المستوى الاجتماعي ثم المستوى الفردي، فبداية يظهر بين الناس (Intra Psychological) وهذا يعتمد على الانتباه التطوعي والذاكرة المنطقية وتشكيل المفاهيم والوظائف العليا التي تنشأ كعلاقات فردية، أما السمة الثانية فهي أن التطور الإدراكي للفرد يعتمد على منطقة النمو الوشيك منطقة النمو القريبة المركزية (ZPD) (Zone of proximal Developments) حيث أن مستوى التطوير يتقدم عند الأطفال عندما يتفاعلون مع المجتمع المحيط (العدوان و داود، 2016، صفحة 402)، فنجد أنه يؤكد دوما على أهمية البعد الاجتماعي في تطوير المعارف فضلا عن مقدرة الطفل تطوير معرفته تطويرا ذاتيا لكنه غير كاف إذا لم يكن مستندا على أسس اجتماعية وثقافية تدعم خبراته وتعزز مكتسباته فالبينة تمنح مقدارا أعلى من المعرفة.

وتقوم رؤية فيجوتسكي البنائية الاجتماعية الثقافية على مفاهيم أساسية؛ أهمها أن عقل الطفل ينمو تبعا للخبرات التي يكوّنها الطفل في إطاره الاجتماعي، حيث يبني معارف وخبرات جديدة ويربطها بسابقتها مما يتعلمه، وهنا يؤكد فيجوتسكي على دور التفاعل الاجتماعي في البناء المعرفي واللغوي للطفل مما يخلق نوعين من النمو؛ نمو حالي وآني يتعلق باللحظة التي يتواجد فيها الطفل قيد التعلم، ونمو ذهني لاحق يكون نتيجة للنمو الآني ويتسم بأنه أعلى وأنضج، كمل يفضي إلى أن الطفل يطور أبنيته المعرفية بنفسه وذلك استنادا إلى البيئة الاجتماعية والثقافية الموجود بها، حيث أن تفاعله المتبادل مع عائلته وأقرانه وأصدقائه ومعلميه وتواصله المستمر معهم يتيح له تنمية ذاتية أكبر معرفية كنت أم لغوية، لذا نجد فيجوتسكي يؤكد

دوما على أهمية الاندماج الاجتماعي والثقافي للطفل لما له من فعالية في بناء شخصية الطفل وتعزيز لقدراته (قطاعي، النظرية المعرفية في التعلم، 2013).

• الآراء التربوية لـ "ليف فيجوتسكي Lev Vygotsky" وأهداف نظريته :

يقدم فيجوتسكي جملة من الأسس التربوية ذات طبيعة اجتماعية تستقيم من خلالها عملية تعلم الطفل ولها مزايا على الجانب التربوي نذكر منها (العدوان و داود، النظرية البنائية الاجتماعية وتطبيقاتها في التدريس، 2016):

— يذهب فيجوتسكي إلى الإقرار أن اللغة هي أقوى الوسائط التي من خلالها يتواصل المتعلم وينقل خبراته وينظم بها تفكيره، لهذا يؤكد على دور البعد التواصلية الذي يكون فيه اللغة أداة ممتازة للتعلم الناجح، لذا يوصي المربي/المعلم أن يعطي لغة الحوار أهمية كبرى.

— يقسم فيجوتسكي المعرفة إلى قسمين؛ قسم محلي يتعلق بالبيئة المصغرة التي يتواجد بها الطفل في حدود عائلته ومحيطه، والتي عبرها يكتسب معارف يومية عامة، وقسم يتعلق بالمعرفة المتخصصة وهي التي تقدم من طرف المربي/المعلم في هيئات التعليم كالحضانات والمدارس، وكل من القسمين يلعبان دورا بارزا من خلال التفاعل الناشئ بين الأطراف الموجودة بمحيط الطفل في تكوين المفاهيم واكتساب المعاني وتدريب الجانب النطقي الذي تبرز فيه اللغة وتتطور.

— يؤكد فيجوتسكي على أهمية المناقشات المتبادلة ودور الحوار والتفاوض في توليد المفاهيم وتعزيز المعاني وتكوين الخبرات والمعلومات، لذا لا بد من أن يخلق المربي/المعلم مساحات من التفاعل أثناء التعلم وأن يترك للأطفال مجال واسع للتعبير والمشاركة وتبادل الأفكار.

— يطلق فيجوتسكي مصطلح (حيز النمو الممكن) للإشارة على ما يمكن للمتعلم انجازه لوحده دون مساعدة خارجية وما يمكن له أن ينجزه في وجود مساعدة الآخرين، ويمثل هذا المصطلح المسافة الكائنة بين ما ينجزه بمفرده وهو مستوى النمو الفعلي والفردية الذي يعتمد فيه على ذاته، وما ينجزه بمساعدة الغير وهو مستوى نمو أعلى يبلغه بواسطة ما يقدمه له الآخر من مساعدة، وفي هذا دلالة واضحة المعالم على الدور الاجتماعي في تعزيز النمو كون الطرف المساعد أكثر خبرة وتحكم وغالبا ما يمثل هذا الطرف المربي/المعلم لما له من فضل في تنمية القدرات العقلية والمهارات المتنوعة للطفل.

5. خاتمة:

لقد آثرت نظرية النمو المعرفي واللغوي لكل من "جان بياجيه Jean Piage" و "ليف فيجوتسكي Lev Vygotsky" على تقديم إسهامات جلية في مجال التطور المعرفي واللغوي عند الطفل، ورفعت الغطاء والغموض عن فهم عملية التطور النفسي والعقلي والجسمي لديه، ذلك من خلال الدراسات التي قدمتها كل نظرية وفق مجال اشتغالها، فبفضل اهتمام "بياجيه" بالبناء العقلي للطفل وجمعه بين علم النفس النمو وعلوم الدماغ وعلم النفس التربوي أصبحنا نعي تماما التكوين الذي يسمح بنمو الطفل معرفيا ولغويا، وبفضل تأكيد "فيجوتسكي" على التفاعل الاجتماعي أصبحنا نعلم دور المجتمع الذي يتواجد به الطفل في تكوين المفاهيم عنده وتطورها حتى يبلغ مرحلة النضج المعرفي واللغوي الذي يمكنه من فهم هذا العالم، ويمكن حصر أهم النتائج التي خرجنا بها من هذا الطرح فيما يلي:

- تفسر نظرية بياجيه الكيفية التي ينمي بها الطفل معرفته ولغته بالتركيز على أداء العقل في هذه العملية.
- ترى نظرية بياجيه أن أبرز العمليات التي تسمح للطفل بتكوين المفاهيم وبناء المعرفة هي عملية الترميز والتصور الذهني، وهي إستراتيجية يتمكن الطفل من خلالها من فهم عالمه، كما يعتمد في مراحله المبكرة على خاصية الدماغ في تخزين المعلومات واسترجاعها وهو نظام عقلي لقياس المواقف التي تحدث في حياته اليومية بما يتعرف على الأشياء.
- ترى نظرية بياجيه أن الأطفال يشتركون في الاستعداد الفطري للتعلم وتساهم البيئة في تعزيز سلوكيات الطفل وفي بناء مفاهيمه وحصول إدراكه لعالمه.
- ترى نظرية فيجوتسكي أن السياقات الاجتماعية مهمة لتطوير الأبنية المعرفية عند الطفل.
- ترى نظرية فيجوتسكي أن المعرفة نتاج اجتماعي والنشاط الاجتماعي له تأثير فعال في الاكتساب المعرفي واللغوي خاصة ما تعلق بأشكال التحوار المتبادل والتفاوض الاجتماعي.
- ترى نظرية فيجوتسكي أن الطفل يبني معرفته ذاتيا ويقومها من خلال التجارب والخبرات التي يكتسبها عبر بيئته، وأن المعارف السابقة أساس للمعارف اللاحقة ويستطيع الطفل الربط بينهما وبتالي يكون مفاهيمه ومعارفه.

6. قائمة المراجع:

المؤلفات:

- __ النوايسة، أديب عبد الله مُجَّد، القطاونة، إيمان طه طابع، 2015، النمو اللغوي والمعرفي للطفل، دار الإحصار العلمي للنشر والتوزيع، مكتبة المجتمع العربي للنشر والتوزيع، عمان الأردن.
- __ غباري، نائر أحمد، أبو شعيرة، خالد مُجَّد، 2015، سيكولوجيا النمو الإنساني بين الطفولة والمراهقة، دار الإحصار العلمي للنشر والتوزيع، مكتبة المجتمع العربي للنشر والتوزيع، عمان الأردن.
- __ جان، بياجيه، 2002، تر: يولاند عما نوئيل، سيكولوجيا الذكاء، عويدات للنشر والطباعة، بيروت لبنان.
- __ العدوان، زيد سليمان، داود، أحمد عيسى، 2016، النظرية البنائية الاجتماعية وتطبيقاتها في التدريس، مركز ديونو لتعليم التفكير.
- __ علاونة، شفيق فلاح، 2004، سيكولوجية التطور الإنساني من الطفولة إلى الرشد، دار المسيرة، عمان الأردن.
- __ العارضة، مُجَّد عبد الله، 2013، النمو المعرفي لطفل ما قبل المدرسة نظرياته وتطبيقاته، دار الفكر ناشرون وموزعون، عمان.
- __ شربل، مورييس، 1986، التطور المعرفي عند جان بياجيه، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت.
- __ قطامي، يوسف، 2000، نمو الطفل المعرفي واللغوي، الأهلية للنشر والتوزيع، الأردن.
- __ قطامي، يوسف، 2013، النظرية المعرفية في التعلم، دار المسيرة، للنشر والتوزيع والطباعة، عمان.
- المقالات:**
- __ العدوان، زيد سليمان، داود، أحمد عيسى، أبريل 2016، درجة توافر مبادئ النظرية البنائية الاجتماعية في كتب التربية الاجتماعية والوطنية للمرحلة الأساسية في الأردن، المجلة التربوية كلية التربية، العدد 44، ص402.
- __ شلاي، زهير، ساقني، عبد الجليل، 2021، النمو اللغوي والتواصل عند الطفل، مجلة إشكالات في اللغة والأدب، مجلد 10، عدد 5، ص691.

- غيلوس، صالح، ديسمبر 2012، النظرية البنائية الاجتماعية الثقافية (فيجوتسكي) في مناهج لتعليم اللغة (الجيل الثاني)، مجلة جسور المعرفة، المجلد 03، العدد 12، ص 119.
- عون، علي، علة، عيشة، جوان 2019، نظرية بياجيه للتنمية المعرفية؛ الآليات التنموية والتداعيات التعليمية، مجلة دراسات في علوم الإنسان والمجتمع، جامعة جيجل، مجلد 02، عدد 02، ص 74.